Abhat Journal, Volume. 18, Issue. 2, September 2026

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index
https://doi.org/10.37375/aj.v18i2.4326

التحالفات القبلية والعسكرية في معركة القرضابية 28– 29 أبريل 1915م
دراسة في وحدة القيادة والميدان

د. سالمة سالم ياسين سالم
قسم التاريخ والآثار/ كلية الآداب/ جامعة سرت– ليبيا
Salmayassen083@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح دور التحالفات القبلية والعسكرية في معركة القرضابية عام 1915، وبيان أثرها المحوري في توحيد القيادة والميدان وتحقيق النصر العسكري، كما تسلط الضوء على أبرز قادة الزعامات الوطنية ودورهم الاستراتيجي في توجيه حركة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي، وكيفية نجاحهم في تجاوز الانقسامات التقليدية والجهوية التي سعى المستعمر لاستغلالها لتمزيق صفوف المقاومة ليتشكّل إثر ذلك تلاحم وطني شامل في قلب الميدان، وإفشال مخططات السيطرة الإيطالية على كامل التراب الليبي مما أجبر قوات الاحتلال على الانحصار داخل حامياتها الساحلية المحدودة.

الكلمات المفتاحية:

التحالفات القبلية، معركة القرضابية، قصر أبو هادي، القوات الإيطالية.

معلومات النشر:
تاريخ الاستلام: 2026/07/19
تاريخ القبـــول: 2026/08/22
تاريخ النشـــر: 2026/09/01

Tribal and Military Alliances in the Battle of Al-Qardabiya: A stud in the Unity of command and the Battlefield.

Salma Salem yassen Salem
Department of History and Archaeology, faculty of Arts, Sirte University - Libya
Salmayassen083@gmail.com

Abstract:

This study seeks to elucidate the role of tribal and military alliances in the Battle of Al-Qardabiya (1915) and demonstrate their pivotal impact on unifying both leadership and the battlefield to achieve military victory. It also sheds light on the most prominent national Leaders and their strategic role in directing the Jihad movement against the Italian occupation. Furthermore, it highlights how these leaders successfully transcended traditional and regional divisions—which the colonizer sought to exploit to fracture the resistance ranks—resulting in a comprehensive national cohesion in the heart of the battlefield. This solidarity thwarted Italian plans to control the entirety of Libyan territory, ultimately forcing the occupation forces to retreat and confine themselves within limited coastal garrison.

Keywords:

Tribal alliances, Battle of Al-Qardabiyah, Abu Hadi palace, Italian forces.

Information:
Received: 19/07/2026
Accepted: 22/08/2026
Published: 01/09/2026

المقدمة:

شهد مطلع القرن العشرين في ليبيا صراعًا من أجل الوجود بين القوى الليبية الوطنية المتطلعة للحرية والأطماع العسكرية الإيطالية التوسعية. وفي قلب هذا الصراع برزت معركة القرضابية أنموذجًا فريدًا تجاوزت فيه القبائل الليبية انقساماتها التقليدية وخلافاتها الداخلية لصالح هدف استراتيجي موحّد تجسد في الالتحام المصيري بين مختلف المكونات الاجتماعية والجهادية، فلم تكن القرضابية مجرد مواجهة عسكرية عابرة بل كانت تحولًا استراتيجيًا أثبتت قدرة القبائل الليبية على التسامي فوق الخلافات، فقد نجحت القيادات الجهادية بمختلف تكويناتها من خلق شبكة تحالفات عفوية ومنظّمة من مختلف البلاد من شرقها وغربها (من ترهونة ومصراتة وبني وليد وقبائل سرت وقبائل برقة والجنوب) تجلّت ذروتها في تلك اللحظة التاريخية الحاسمة داخل أرض المعركة عندما انحازت المكونات القبلية التي ساقها الإيطاليون كرها إلى صفوف إخوانهم المجاهدين مما أدى إلى انهيار كامل للمنظومة

©Abhat Journal, Sirte University 2026

العسكرية الإيطالية في قلب سرت. وكانت سرت في هذه المرحلة مركزًا لتجمع المجاهدين ممن شاركوا في تدمير حملة مياني في فزان وتصعيد الموقف بالمنطقة الساحلية، لذلك رأت إيطاليا ضرورة السيطرة على هذا الموقع وضرب القوى الوطنية المجتمعة به للحيلولة دون استفحال أمرها وتعاظم خطرها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية دراسة هذه التحالفات القبلية والعسكرية في معركة القرضابية في تجسيد اللحمة الوطنية وتجاوز الخلافات التقليدية وأثبتت أنّ الروابط الوطنية والدينية كانت أقوى من الخلافات القبلية حيث تنادت كل القبائل من مختلف المناطق للقتال في خندق واحد، كما تجسدت في تحويل المحلات والقبائل التي حشدتها إيطاليا تحت الإكراه والخديعة إلى قوة عسكرية التفت حول الجيش الإيطالي وانقضت عليه ما أدى الى انحسار الوجود الإيطالي وتراجعه من عمق الصحراء إلى الحاميات الساحلية. كما تقدّم هذه التحالفات درسًا حول قوة الاجتماع ونبذ الفرقة؛ فالقرضابية تذكّر دائمًا بأنّ القوة الحقيقية لليبيا تكمن في تلاحم مكوناتها الاجتماعية، وأنّ غياب التحالف والتنسيق هو الثغرة الوحيدة التي ينفذ منها المستعمر أهدافه وأطماعه.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الهيكل التنظيمي والقيادي لمعركة القرضابية، وتوضيح كيف أديرت المعركة بمفهوم القيادة المشتركة بين قادة ومجاهدي أقاليم ليبيا المختلفة.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في فهم وتفكيك التناقض الظاهري بين (التعددية القبلية) ووحدة (الهدف العسكري) في تاريخ المقاومة الليبية وتحديدا في معركة القرضابية 28–29 أبريل 1915 ففي الوقت التي راهنت فيه الإدارة الاستعمارية الإيطالية على التناقضات والنزاعات القبلية أداة لتفكيك الجبهة الداخلية وصناعة جيش من المجندين إكراهًا لضرب المقاومة حدث تحول استراتيجي مفاجئ في أرض المعركة تسبب في انهيار كامل للمشروع الإيطالي. وبناء على ذلك تتمحور الإشكالية الرئيسية في الأسئلة الآتية:

– كيف استطاعت القيادة العسكرية والاجتماعية لمعركة القرضابية صهر التنافس القبلي والجهوي وتشكيل وحدة القيادة والميدان؟

–كيف تمّ تحويل الولاءات الاجتماعية التقليدية إلى عمل عسكري وطني منظّم وموحّد؟

خطة البحث: تمّ تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: الوضع السياسي والعسكري في ليبيا قبل معركة القرضابية.

المبحث الثاني: التنسيق بين قيادات وقبائل (طرابلس وبرقة وفزان) للاستعداد لمواجهة الايطاليين.

المبحث الثالث: إدارة الميدان وانعكاس التحالفات على سير المعركة.

المبحث الأول: الوضع السياسي والعسكري في ليبيا قبل معركة القرضابية:

رغم تخلي الأتراك عن الليبيين في حربهم ضد الإيطاليين في بداية الاحتلال الإيطالي لليبيا وتوقيعهم لمعاهدة الصلح أوشي لوزان أكتوبر 1912 مع إيطاليا ما أدى إلى اختلاف الموقف السياسي في غرب ليبيا، وتباينت الآراء وظهرت الخلافات بين قادة الجهاد أثناء انعقاد مؤتمر العزيزية في نوفمبر 19112 حول مواصلة الجهاد أو الاستسلام، وأدى هذا الأمر إلى تفكيك الجبهة الوطنية وإضعافها ووقوع مناطق كثيرة تحت سيطرة الحكومة الإيطالية والتي بدأت في تطبيق سياسة (فرق تسد) لتشيج روح العداء والفرقة بين المجاهدين وقادة الجهاد بكل الوسائل ونجحت تلك السياسة في استقطاب عدد منهم، رغم محاولات الإيطاليين إلّا أنّ قادة الجهاد الذين اختاروا مواصلة الكفاح بفتح دفاتر لتقيد أسماء المجاهدين في سبيل الله، وأخذوا يشجعون الناس على الجهاد، وتجمعوا من سائر نواحي طرابلس من الجبل الغربي ومن الجنوب وترهونة وورفلة وتاورغاء والزنتان والرجبان ومزدة وزلطن ومن الزاوية وجنزور والعجيلات ومن فزان وسائر الجنوب، وقد وصف الصحفيون الإيطاليون المجاهدين بقولهم (لم نجد قومًا عندهم شغف بالموت كهؤلاء القوم) (ريمون، 1983، ص100) كذلك (إذا سمع هؤلاء نداءً للحرب قامت قيامتهم، وتدفقوا إليها كالسيول من الجبال وبالجملة فالحرب عندهم أشهى لذة تتصورها عقولنا) (ستودارد، 1972، ص168) وقد دارت العديد من المعارك التي لم يكن الطليان يحسبون لها حساب، منها الخسائر الفادحة التي تكبدوها في معركة جندوبة مارس 1913 (التليسي، 1977، ص108) ومع انتصارات الإيطاليين في نهاية المعركة وتحقيق السيطرة على المنطقة الغربية حتى مزده جنوبًا لم يكن ذلك مؤشرًا لانتهاء حركة المقاومة في تلك المناطق (بروشين، 1988، ص131) بل أنّ قسم من المجاهدين لم يلق سلاحه وظل مصرًا على المقاومة كان منهم (مُحَمَّد البوسيفي) ومجموعته الذين اتجهوا إلى القبلة والجنوب وتصدوا لقوات (مياني) الزاحفة على فزان (جراتسياني، 1968، ص24)، وكانت إيطاليا قد بدأت الإعداد لحملة احتلال فزان في

آواخر عام 1913 بعد أنْ كانت احتلت بعض البلدان الداخلية من طرابلس الغرب حتى اتخذوا لهم مراكز للحكم في بني وليد ومزدة وسيناوون وغدامس وبونجيم والقريات وسرت (بيشون، 1991، ص156) وجاء التمهيد لتلك العملية باحتلال سوكنة في يوليو 1913، وأقامت فيها قوات مياني قرابة الثلاثة أشهر للاستعداد ومراقبة الوضع في فزان، وكان البوسيفي ورفاقه قد قاموا بإشعال المقاومة في الجنوب واشتبكوا مع قوات (مياني) في (معركة الشب وأشكدة) في ديسمبر 1913 (التليسي، 1977، ص388) ونتيجة لضغط الإيطاليين في منطقة براك تراجعت قوات المجاهدين من موقع المحروقة حيث دارت فيها معركة حاسمة بين الإيطاليين والمجاهدين تمكن الإيطاليون فيها من السيطرة المبدئية على المنطقة الجنوبية والاستيلاء على سبها في فبراير 1914، ثم اتجهت إلى مرزق عاصمة فزان واستولى عليها مياني في نوفمبر 1914، وأثناء سيطرته على مرزق استطاع المجاهدين استعادة قلعة سبها وبذلك لم يستطيع البقاء في فزان أكثر من تسعة أشهر (السيد والطوير، 1998، ص84) وكان لعملية استعادة القلعة في سبها سببا لاندحار وانسحاب قوات مياني من الجنوب بأكمله وتعرّضت قواته أثناء انسحابه الإبادة حيث تبعهم المجاهدون وطردوا جميع الحاميات الإيطالية في فزان (جراتسياني، 1968، ص17).

وتمّ استرداد كافة المناطق الجنوبية فتمّ تحرير أوباري واندلعت الثورة في كامل مناطق فزان وعجزت القوات الإيطالية عن إخمادها لذلك اضطر مياني للانسحاب من مرزق عاصمة فزان (وزارة الحربية، 1914) كما سبق ذكره في ديسمبر 1914 إلى سوكنه ثم إلى أبونجيم حيث تعرّضت القوات الإيطالية لهجوم عنيف فانسحبوا إلى مصراته (رواية سالم إرحيم مُحَمَّد، المركز الليبي للمحفوظات) وعلى إثر تلك الثورة التي اندلعت في القبلة والجنوب وانسحاب الحاميات الإيطالية من معظم المناطق وتقليص النفوذ الإيطالي، حاولت الحكومة المركزية الإيطالية المحافظة على ما تبقى لديها من حاميات، واجتمع مياني بعد وصوله إلى طرابلس من روما بعد استدعائه لعرض تقرير عن الأوضاع العسكرية في ليبيا، حيث تباحثوا عن الوضع في طرابلس الغرب الذي بات خطيرا للغاية حسب وصفهم من جراء الثورة (رابكس، مخطوطة، 15) وأعطت الحكومة تعليماتها للمحافظة على ما تبقى من حاميات وإخماد الثورة التي بدأت في التصاعد والانتشار، ووضع مياني خطة عسكرية تهدف إلى استعادة السيطرة على مناطق القبلة ومنطقة سرت التي خرجت عن السيطرة الإيطالية فكانت خطته تهدف إلى توجيه حملتين كبيرتين واحده للعمل جنوب مزدة والأخرى للعمل في منطقة سرت فاصطدمت القوات الإيطالية بقوات المجاهدين في معركة (وادي مرسيط) في بداية أبريل 1915 وانتهت بهزيمة ساحقة للإيطاليين (Bilardinnelli, 1935, p147)، فقد اعتبرت هذه الهزيمة بداية نهاية الهيبة الاستعمارية الإيطالية.

وكان من ضمن مخطط الإيطاليين استعادة السيطرة الكاملة على سرت خاصة بعد طرد الحاميات الإيطالية وحصرها في حيز ضيق أقصى الطرف الجنوبي لخط سرت مصراتة بني وليد وللموقع الجغرافي المهم الذي تشغله المنطقة باعتبارها تشكّل قاعدة مهمة على الساحل الليبي ومفتاحًا للمناطق الداخلية في فزان والواحات ومركز مهمًا للعمليات العسكرية حيث تمثّل نقطة ارتكاز في الاستراتيجية العسكرية الإيطالية، وللقضاء على تجمع القوى الوطنية فيها التي بات تواجدها يهدد الوجود الاستعماري الإيطالي في إقليم طرابلس بأكمله (السيد والطوير، 1998، ص92-96).

وكان من ضمن خطة مياني الاستعانة بالأعيان ممن تسير الحملة عبر أراضيهم، وتقع مناطق نفوذهم في مواجهة خط الثورة منهم أعيان (مصراتة، بن وليد، ترهونة).

وتوجهت الحملة الإيطالية لاستعادة المواقع التي خسرتها في الجنوب بقيادة الكولونيل مياني؛ وذلك في محاولة لإعادة اعتباره بعد الهزيمة التي لاقاها في فزان على يد المجاهدين (السيد والطوير، 1998، ص93)، وكانت قوات المجاهدين قد تجمعت في سرت لذلك كلفت القوات الإيطالية زعماء القبائل وأعيان المناطق الليبية بتجنيد المواطنين من (بني وليد وترهونة ومصراتة ومسلاتة وزلطين وقماطة والخمس) وتوزيع السلاح والمال عليهم وكان عدد من رجال القبائل انضموا إلى القوات الإيطالية تبعًا لأوامر السنوسين التي تقضي بالتحاق أكثر عدد ممكن بالقوات الإيطالية للحصول على السلاح ثم الانقلاب على الإيطاليين (الوثائق الفرنسية، 13 ديسمبر 1914) ضمن الحملة التي أعدتها إيطاليا لمعاقبة المجاهدين وتشتيت شملهم بعد ورود المعلومات عن تجمعهم شرق سرت، وبدأت مجموعات المجندين بمرافقة وحدات القوات الإيطالية والمرتزقة الأحباش بالتحرك على مجموعات فتقدمت مجموعة مصراته بقيادة مياني نحو بئر بن عيزار الذي يقع في منطقة وادي المردوم بالقرب من ملتقى طريق سوف الجين والشميخ مع طريق بني وليد (منطقة قرارة القطف) وتحركت القوة الثانية التي تضم مجموعة بن وليد مع ترهونة والأحباش نحو منطقة (بن تليس) وكان يرأسها عبد النبي بلخير الذي وزع السلاح على رجاله المتواجدين معه في

الحملة، وانطلقوا إلى بئر بن عيزار الذي كان منطقة لتحشيد القوات الإيطالية ثم انطلقت الحملة باتجاه سرت. (حسن الطبولي، الرواية الشفوية)

المبحث الثاني: التنسيق بين القيادات وقبائل برقة وطرابلس وفزان استعدادا لمواجهة الإيطاليين:

بالرغم من التفوق العسكري للقوات الإيطالية في العدة والعتاد، وتحقيقها لانتصارات ميدانية في بداية الغزو والتي بلغت ذروتها باحتلال مرزق وبسط السيطرة الظاهرية على المراكز الرئيسية، إلّا أنّ قادة الاحتلال كانوا يدركون تمامًا أنّ الأرض لم تدن لهم بعد، فقد ظلت المخاوف الإيطالية قائمة ومستمرة من تحالفات القبائل الليبية وقدرتها على قلب الموازين، وتجلت تلك المخاوف في تصريحات جراتسياني الذي أعرب فيها عن قلقه العميق بقوله: أصبحت حكومة طرابلس الغرب باستيلائها على مرزق مسيطرة على جميع أراضي المستعمرة، لكنها لم تكن قد هزمت بعد البدو والرحل المقيمين في القبائل والبدو المقيمين في سرت الذين كانوا في جميع الأوقات المسيطرين على جميع الأراضي الليبية الداخلية وسادتها الحقيقيين، وتجسدت تلك المخاوف بالفعل عندما بدأ زعماء الجهاد في طرابلس وبرقة وفزان بتحركات واسعة لاستعادة تنظيم الصفوف لإحباط مخططات العدو.

فقد كان السنوسيون يقودون حركة الجهاد في المنطقة الشرقية وبما أنّ سرت على حدود برقه عُيِّن السيد أحمد الشريف السيد صفي الدين السنوسي نائبًا عنه وحضر معه وكيله أحمد التواتي (السيد والطوير، 1998، ص93)، أمّا حمد سيف النصر فقد كان معتقلًا في زوارة، وذلك على آثر امتناعه ورفضه لتأجير إبلهم للقوات الإيطالية بعد وصول حملة مياني إلى سوكنه في 26 أغسطس 1913 متوجهة إلى فزان، فتمّ اعتقال الشيخ سيف النصر وأبنائه وترحيلهم إلى زوارة (مدلل، 1989، ص56) وقبل توجه الحملة الإيطالية إلى سرت أتى به الإيطاليون من منفاه ليتخذوه وسيطًا بينهم وبين قبائل سرت وما ورائها وأبلغ القبائل برغبة الطليان في تهدئة الأوضاع وبتعهدهم بكل ما يكفل لهم الراحة، إلّا أنّهم رفضوا مطلب الطليان وأصروا على محاربتهم فاختار حمد سيف النصر البقاء مع المجاهدين ورفض العودة إلى الطليان (الزاوي، 2004، ص181) وكان رمضان السويحلي موظفًا في بلدية مصراتة حيث عيّنته الحكومة الإيطالية في منطقة زاوية المحجوب بالجهة الغربية من مصراته، (السويحلي، 2014، ص77) وقد اتخذ جيش صفي الدين من منطقة النوفلية شمال شرقي صحراء سرت مقرًا له في بداية الأمر ثم انتقلوا إلى مكان يعرف باسم (القرائن) في اتجاه الغرب يقربهم أكثر من طرابلس يبعد عن قصر سرت حوالي أربع ساعات لتضيق الخناق على النقطة الإيطالية القريبة من سرت وشجع معسكر مجاهدي برقة في هذه المنطقة على انضمام عدد كبير من الأهالي المتواجدين في تلك المناطق بدافع الجهاد في سبيل الله وطرد الأعداء فانضم إليهم عدد كبير من أهالي مصراته وجماعة من أولاد بوسيف وغيرهم ولم يعد المعسكر خاص بالمجاهدين القادمين من برقه فقط (سلسلة الوثائق الإيطالية، المجموعة الثانية، 1915).

وأصبح المجاهدون في سرت يشنّون هجمات متكررة على معسكرات الإيطاليين في مصراتة ورفلة، ويقلقون راحتهم وقد توسّع المجاهدون في الإغارة فلم يفرقوا بين الطليان وغيرهم، وضج الأهالي من تلك الإغارات، وشكا أرباب الحيوانات المنهوبة إلى رمضان السويحلي الذي كان من بين المتضررين من تلك الإغارات فقد تمّ الاستيلاء على عدد من إبله التي كانت متواجدة في منطقة بوجعران (مصطفى سالم شعبان، الرواية الشفوية، 1978) من قِبل جماعة أحمد التواتي، وتقدّم رمضان السويحلي إلى الطليان بطلب لحماية السكان وتزويدهم بالسلاح لدفاع عن أنفسهم (رواية مُحَمَّد مفتاح السويحلي، 1978)، وكان رمضان يرغب في الاطلاع على معسكر المجاهدين في سرت، وجعل من عملية استرداد الإبل وسيلة للتعرّف على حجم القوة المعسكرة في سرت، لذلك أظهر استعداده لتزويد الإيطاليين بمعلومات عنها ،فوافق المتصرف الإيطالي على تسليح ما يقارب من أربعين رجل من أهل مصراته لاسترداد الإبل بقيادة رمضان فتوجه إلى سرت رغم اعتراض ضابط المخابرات الإيطالي (جيا نترو) الذي كانت لديه معلومات عن وجود اتصالات بين رمضان السويحلي وغيره من قادة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي (تقرير الدائرة العسكرية الإيطالية بطرابلس، ص80).

اتجه رمضان السويحلي إلى وادي تلال بسرت واجتمع بأحمد التواتي وكيل صفي الدين السنوسي ورئيس المجاهدين وتباحث حول الإبل المنهوبة وطلب رمضان رد هذه الإبل لما لذلك من أثر في نفوس الأهالي وتعزيز ثقتهم بهم، كما أنّ ذلك يساعد في نشر دعاية طيبة عن جيش المجاهدين والتحاق الناس بهم، وتباحثوا أيضًا في الكيفية التي يمكن بها لجماعة مصراتة إعانة وإمداد المجاهدين باحتياجاتهم من أسواق مصراتة بصفة منتظمة دون معرفة الإيطاليين (فشيكه، 1972، ص90) وقد اتفقـوا على رد الإبل الموجـودة وعدم التصرف

بالغائب منها. (أحمد عمر عواج، الرواية الشفوية، 1978).

وقد زادت الشكوك حول رمضان السويحلي خاصة بعد تزايد التحاق الأهالي بالمجاهدين، وتقديم جيا نترو تقريره حول شخصية رمضان وعلاقاته، وأدركوا خطأهم بالسماح له بالذهاب إلى سرت لذلك أرسل المتصرف الإيطالي قوة عسكرية لمهاجمة معسكر المجاهدين لكشف نوايا رمضان وكذلك لاختبار قوة المجاهدين لمعرفة كيفية القضاء عليهم، وكان رمضان في ذلك الوقت يتفاوض مع أحمد التواتي، وحدث الهجوم في منطقة المديفين شرقي أبوهادي (رواية مُحَمَّد مفتاح السويحلي، الرواية الشفوية، 1978) وشارك فيه رمضان السويحلي ورفاقه سرًا إلى جانب قوات المجاهدين لرد ذلك الهجوم الذي دام لمدة سبع ساعات وكان النصر فيه للمجاهدين (سعيد، 1976، ص46).

وعاد رمضان ورفاقه إلى مصراتة خوفًا من معرفة الطليان باشتراكه في المعركة، تاركًا أخاه أحمد ضمن جرحى مصراتة الذين اصطحبهم رمضان معه لاسترجاع الإبل من سرت وتعهد لأحمد التواتي وجماعته باتخاذ ما يلزم لمساعدتهم وتسهيل انضمام الناس لهم، وكان اشتراك رمضان في رد الهجوم الإيطالي بداية التحالف بين القادة لمواجهة المحتل ودليلًا على إخلاص رمضان ورفاقه للمجاهدين. وظلت الاستعدادات قائمة في سرت لمواجهة الطليان وبعد رجوع رمضان إلى مصراتة تمّ استدعاؤه من قِبل السلطات الإيطالية فاتجه إلى طرابلس برفقة مُحَمَّد المحجوب (أحمد عمر عواج ، الرواية الشفوية، 1978) لسؤاله عن المعركة وعمّا حدث فيها، وعن عدم عودة كل مرافقيه بمن فيهم أخاه أحمد، ولم ينكر رمضان اشتراكه في المعركة وبرر ذلك بأنّه خاف من انتقام المجاهدين لو أنّه اشترك مع الإيطاليين ضدهم فيقتلوه هو ورفاقه (العيساوي، 1936، ص29). وأثناء المقابلة تمّ تخيير رمضان بين محاربة المجاهدين في سرت والحكومة الإيطالية مستعدة لتزويده بما يحتاجه، أو عقد صلح معهم يرضي الطرفين، وقد اختار رمضان القيام بدور الوسيط لعقد صلح بين الطليان والمجاهدين فاشترطوا عليه أنْ يذهب مع جيش الحكومة إلى سرت ويرافق الكولونيل مياني لتبادل الرأي في شؤون الحملة وكانت هذه السياسة التي اتبعها الإيطاليون لمراقبة رمضان وإجباره على خوض الحرب إلى جانبهم، ورغم اعتراض عدد من الضباط الإيطاليين الذين كانوا يرون أنّ عدم القبض على رمضان ونفيه إلى إيطاليا يرجع إلى ضعف الحكومة (جراتسياني، 1968، ص28).

أرسل عبد النبي بلخير رسالة إلى المجاهدين يعلمهم فيها بتحرك الحملة، كما أرسل أحمد سيف النصر عدد من المجاهدين لاستكشاف المكان وتحديد مكان القوات الإيطالية وكان ذلك عند وادي المردوم حيث عسكر حمد سيف النصر مع 400 من المجاهدين بعد عشرة كيلو مترات شرقي بئر بن عيزار والتحق بهم الشيخ سوف المحمودي الذي كان عائدًا من مصر بعد أنّ عيّنه أحمد الشريف نائبًا للوالي في طرابلس الغرب، وكان يرغب في مشاركة المجاهدين في مواجهة الحملة الإيطالية على سرت إلّا أنّه بوصولهم إلى وادي ازكير وصلته رسالة بضرورة التوجه إلى طرابلس (حسن الطبولي، الرواية الشفوية). وأرسل رمضان السويحلي مجموعة من أربعة عشر رجلًا بقيادة مصطفى بوراوي ليبلغ أهل النجوع للابتعاد عن طريق الحملة من الشريفية إلى القداحية إلى قرعة بي حتى التقى الجميع عند بئر بن عيزار (أحمد عمر عواج، الرواية الشفوية 1978)، واجتمع عند البئر رؤساء الوحدات المرافقين للحملة الإيطالية وهم: عبد النبي بلخير، ورمضان السويحلي، والمبروك المنتصر الترهوني سرًا واتفقوا على أنْ يرجع عبد النبي بلخير إلى ورفلة ويترك 200 رجل مسلح بمنطقة شيخ لمحاصرة بني وليد عند انكسار الحملة، كما اتفقوا على انقلاب جنودهم من الليبيين على الإيطاليين في داخل الباندة عند قيام المعركة.

وأرسل رمضان السويحلي شرف الدين العمامي وإشتيوي الكريك إلى أحمد سيف النصر قبل مغادرة سوف المحمودي إلى طرابلس يعلمونه بهذا الاجتماع وما اتفقوا عليه وأبلغوه شفهيًا برسالة رمضان وهي (عليكم أنْ توفروا أكبر عدد ممكن وأجمعو أنفسكم حتى تصلوا إلى سرت وسوف نكون معكم) (مدلل، 1993، ص87)، وبدأ بالفعل تنفيذ ما تمّ الاتفاق عليه فعند وصول الحملة إلى السدادة كان عبد النبي بلخير قد كتب رسالة لنفسه وسلمها إلى أحد رجاله وطلب منه أنْ يلتحق بالحملة في القداحية ويسلمه الرسالة التي سلمها بدوره إلى (مياني) مقفلة وكان يعلم ما بداخلها حيث كانت تحمل أخبار هجوم الثوار (المجاهدين) على إبل ورفلة لذلك طلب عبد النبي من مياني السماح له بالعودة إلى بني وليد فأذِن له بالرجوع مع 400 رجل من ورفلة. (القشاط، 1977، ص24) وطلب رمضان السويحلي من أحمد سيف النصر أنْ يتجنب طريق الجيش واقترح عليه الالتحاق بالمجاهدين في سرت إلّا أنّ أحمد رفض ذلك وأخذ يباغت الإيطاليين من الناحية الغربية.

وبينما كانت الحملة في طريقها إلى سرت أشار رمضان بعرض الصلح على المجاهدين المتواجدين بسرت بشرط أنْ يتركوا الموقع الذي هم فيه (مُحَمَّد مصطفى القذافي الرواية الشفوية، 1978) وينتقلوا إلى

سوكنة أو ينسحب المجاهدون إلى الشرق قليلًا حتى يصل الجيش إلى بوهادي لأنّ خطتهم تقضي بالوصول إليها ويتوغلوا في الجنوب وفي هذه الحالة يتمكن رمضان وغيره من الزعماء بمحلاتهم من تنفيذ خطتهم والإطباق على الحملة من كل ناحية والقضاء عليها في الصحراء.

وقد أرسل رمضان السويحلي عمر بو دبوس على رأس عشرين فارسًا يعرض الصلح وخطة الزعماء على صفي الدين السنوسي الذي رفض الصلح تحت إلحاح وكيله أحمد التواتي رغم تأكيد عمر بودبوس على تصميم الزعماء على الانقضاض على الطليان (الزاوي، 2004، ص207) وبذلك أصر المجاهدون على مواصلة الحرب وعدم الانتقال او التراجع من أماكنهم مهما كلفهم الأمر.

المبحث الثالث: إدارة الميدان وانعكاس التحالفات على سير المعركة:

عند زحف الإيطاليين إلى قصر بوهادي والتحرك من سرت كانت قواتهم مقسمه على النحو الآتي:

1. رمضان السويحلي وأهالي مصراتة من ناحية الغرب.
2. الجنود الإيطاليون على اليسار من ناحية الشرق.
3. المبروك المنتصر الترهوني والساعدي بن سلطان في الوسط.
4. الجند الإرتريين إلى اليسار من ترهونة.
5. في أقصى الشرق محمود عزيز وأهالي زليطن.

وكان أحمد سيف النصر قد وصل إلى قصر بوهادي حيث خيم بجماعته حول القصر القديم، وانتشرًا اتباعه جنوب وغرب وشرق القصر، أمّا صفي الدين السنوسي والشيخ صالح الأطيوش ومن معهم من المجاهدين فعسكروا شرقي القصر في (وادي تلال) وكانت طلائع المجاهدين تعلم بتحركات الطليان، وعند بدء تقدم القوات الإيطالية أرسل أحمد سيف النصر فارسًا لإعلام قوات صفي الدين السنوسي وصالح الأطيوش. (القشاط، 1977، ص36).

كانت خطة رمضان السويحلي الاستيلاء على قافلة الذخيرة الخاصة بالقوات الإيطالية لذلك أمر رمضان رجاله من مصراتة أنْ يقوموا حال بدأ المعركة بالتنحي إلى اليمين ليتركوا الفرصة للفصائل التي خلفهم من التقدم فتصبح قافلة الذخيرة بجوارهم بعد أنْ كانت خلفهم، واتفق مع جماعة ترهونة ومسلاتة بواسطة المبروك المنتصر الترهوني بدفع القافلة خارج ميدان المعركة حتى تصل إلى هضبة قصر بوهادي حيث يوجد مجاهدو (صفي الدين السنوسي وصالح الأطيوش)، وقامت جماعة مصراتة بإطلاق النار على الطابور العسكري المكلف بحماية القافلة لمنعه من الالتحاق بالقافلة وإرجاعها، (تقرير الكابتن جوفان نيبيتشوني، سلسلة الوثائق الإيطالية، ص145) ثم يرجعون للمشاركة في مقاتلة الإيطاليين فأصبحت القوات الإيطالية متعرضة للهجوم من جميع الجهات فقوات أحمد سيف النصر تهاجم من اليسار بهجوم عنيف على مقر القوات الإيطالية واستطاع أحمد سيف النصر برفقة عدد من المجاهدين من أبرزهم رمضان بلحاج سالم وحميد بن علي الطبولي من خلع راية الطليان وبث الخوف والرعب بين صفوف القوات الإيطالية أصيب أحمد سيف النصر بجروح إلا إنه لم يترك ميدان المعركة (مجلة الوحدة العربية، 1974، ص4) وكانت قوات صفي الدين السنوسي تهاجم من الأمام، بينما تهاجم المجموعات الليبية بعد انضمام رجال المحلات إلى صفوف المجاهدين من جهة اليمين والخلف (الحسناوي وآخرون، 1990، ص45)، وقام عدد من الزعماء من بينهم المبروك المنتصر يتنقلون بين الصفوف يوجهون المجاهدين إلى الأماكن الهامة لتحطيم العدو ويقوون العزائم، وكان قد انتاب الإيطاليين الخوف والهلع بعد سماعهم باستيلاء المجاهدين على القافلة بما فيها من ذخيرة ومؤن، وكانت الجبهة على الميمنة شديدة استطاع المجاهدون القضاء على الكتائب والوحدات الواحدة تلوى الأخرى، وحاول الايطاليون إنقاذ ما يمكن إنقاذه إلّا أنّهم فشلوا بسبب قوة المقاومة وتوالت ضربات المجاهدين وأصيب القائد الإيطالي مياني في المعركة وتشتت جيشه وفرّ إلى قصر سرت.

بعد الانتصار في القرضابية انتشرت المقاومة والانتفاضة الشعبية في كافة أرجاء البلاد وقد وجهت هذه المقاومة هدفها إلى الحاميات الإيطالية المنتشرة في ليبيا، وعزل المجاهدون حاميتي بن وليد وترهونة وانسحبت الحامية من ترهونة في 1 مايو بعد أنْ تكبدت خسائر فادحة، أمّا حامية بن وليد فقد تمّ حصارها من قِبل عبد النبي بلخير وقواته حسب الخطة المتفق عليها مع رمضان السويحلي، حتى أعلن قائد الحامية الاستسلام في 5 يوليو وقرر الإيطاليون الجلاء عن الجبل الغربي وانسحبت حامية غريان إلى العزيزية وحامية يفرن إلى الزاوية واستسلمت حامية الزنتان وتمّ الجلاء عن غدامس، ونتيجة لعدم قدرة الحامية على الوصول إلى الساحل عبر الأراضي الليبية انسحبت إلى الحدود التونسية وهكذا انهار وضع الاحتلال الإيطالي بطرابلس وأصبح مقتصرًا على مدينة طرابلس والخمس، وبهذا تحولت القوات الوطنية بفضل هذا التحالف من وضع الدفاع إلى الهجوم وأثبتت مقدرة عسكرية وقتالية عالية استطاعت بها إيقاف الحملات الإيطالية

على مختلف البلدان الليبية حتى عام 1922 عندما أطلقت إيطاليا عمليات الاسترداد وتمكنت من إثارة الفتنة والانشقاق والانقسام بين صفوف الزعماء.

(ينبغي الإشارة بشكل واضح إلى سياسة فرّق تسد الاستعمارية الايطالية التي اتبعتها إيطاليا لضرب النسيج الاجتماعي والتي أسفرت عن الحروب الأهلية التي دارت بإقليم طرابلس ومحاولات رأب الصدع بين الأهالي التي قام بها بعض الزعماء الوطنيين والتي أسفرت عن انعقاد مؤتمر غريان 1920 ثم مؤتمر سرت 1922 كمحاولة أخيرة لتوحيد حركة الجهاد والمقاومة بين الأقاليم الليبية)

الخاتمة:

يتضح من هذا البحث أنّ معركة القرضابية وتحالف قادتها يمثّل نقطة التحول الأبرز في الاستراتيجية العسكرية والسياسية لحركة الجهاد الليبي حيث تُعدّ معركة القرضابية أو ما يعرف بمعركة الوحدة الوطنية نقطة تحول حاسمة في التاريخ الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، فلم تكن مجرد مواجهة عسكرية عابرة بين المجاهدين وقوات المحتل بل كانت تجسيدًا قويًا لملحمة الوحدة الوطنية، حيث تلاشت فيها الخلافات القبلية والجهوية واستجاب الجميع لنداء الوطن، وأثبتت التحالفات القبلية والعسكرية التي تشكّلت في هذه المعركة أنّ اللحمة الوطنية هي السلاح الأقوى لمواجهة المخططات الاستعمارية.

فرغم استخدام إيطاليا لسياسات عديدة من نشر الفتن والخلفات لتمزيق النسيج الاجتماعي الليبي إلّا أنّ تحالف المجاهدين في القرضابية حطم كل آمال المستعمر ورهاناته على أعتاب سرت، ويوضّح هذا التحالف أنّ قوة ليبيا واستقرارها يكمن في تلاحم أبنائها ووحدتهم.

المصادر والمراجع:

أولًا: الوثائق:

أ. وثائق المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس:

– رابكس، الحرب الليبية الإيطالية (رسوخ السيادة الإيطالية في القطر الطرابلسي في عهد الكونت فولبي) ترجمة: ظافر المدني، مخطوط مركون على الآلة الكاتبة المطبعة الحجرية للقيادة العامة للقوات المسلحة مكتبة مركز جهاد الليبيين طرابلس.

– سلسلة الوثائق الإيطالية، المجموعة 17/16 تقرير الكابتن جوفان نيبتشوني.

– سلسلة الوثائق الإيطالية، المجموعة الثانية، وثيقة رقم 8 برقية 38 بتاريخ 26 أبريل 1915 مرسلة من الحاكم تأسوني بطرابلس إلى وزارت المستعمرات بروما حول بلاغات المخبرين وتحركات المجاهدين في مناطق عدة.

– مكتب الشؤون العسكرية–رقم 4121 بخصوص طرابلس الغرب –من حاكم الجزائر العام إلى وزير الحربية بوردو–رسالة موجهة من حاكم الجزائر إلى وزير الحربية في باريس يعلمه بالنداء الذي وجهة السنوسي لمجاهدي طرابلس وفزان يدعوهم للانخراط في سلك القوات الإيطالية بهدف الحصول على الأسلحة.

– وزارة الحربية 5486،14 ديسمبر 1914 –وزارة الحربية إلى وزير الخارجية صادر إليه من الملحق العسكري الفرنسي في روما يتعلق بقرار إيطاليا الانسحاب من فزان.

ب. وثائق السرايا الحمراء طرابلس:

– تقرير الدائرة العسكرية الإيطالية بطرابلس عن حياة رمضان السويحلي.

ثانيًا: الروايات الشفوية:

– رواية أحمد عمر عواج، (1978)، شريط ق358/4.

– رواية حسن الطبولي، مقابلة أجراها مُحَمَّد سعيد القشاط مع المجاهد حسن الطبولي منشورة في كتابه القرضابية ومحفوظه ضمن كراسات قسم الرواية الشفوية، ملف معركة القرضابية، إعداد صالح شوبانة.

– رواية سالم إرحيم مُحَمَّد، سلسلة الروايات الشفوية، المجلد المخصص لمعارك الجهاد في المنطقة الوسطى.

– رواية مُحَمَّد مفتاح السويحلي، (1978)، شريط ق000/4.

– رواية مصطفى سالم شعبان، (1978)، شريط 360/4.

– رواية مُحَمَّد مصطفى القذافي، (1978)، شريط ق/315.

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة:

– التليسي، خليفة، (1977)، معجم معارك الجهاد 1931/1911، دار الثقافة، بيروت.

– الزاوي، الطاهر أحمد، (2004)، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار المدار الإسلامي.

– السويحلي، صلاح الدين عوض، (2014)، رمضان السويحلي أحد رموز الجهاد الليبي.

– السيد، رفعت، عبد العزيز، والطوير، مُحَمَّد، إمُحَمَّد، (1998)، تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي 1931/1911، مركز الحضارة العربية، القاهرة.

–العيساوي، مُحَمَّد الأخضر.1936م.رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار. القاهرة.

–القشاط، مُحَمَّد سعيد. (1977) القرضابية 28–29ابريل 1915.

–بروشين، نيكولا، (1982)، تاريخ ليبيا من نهاية القرن 19 إلى 1969، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

– بيشون، جاك، (1991)، المسألة الليبية في تسوية السلام، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

– جراتسياني، ردولفو، (1994)، نحو فزان، دار الفرجاني، طرابلس.

– الحسناوي، حبيب اوداع وآخرون، (1990)، القرضابية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

–ريمون، جون، (1983)، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس.

– ستودارد، لوثروب، (1972)، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر العربي.

– سعيد، أمين، (1976)، الدولة العربية المتحدة، الجزء الثالث. دار الحلبي، القاهرة.

– فشيكه، مُحَمَّد مسعود، (1974)، رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان، دار الفرجاني، طرابلس.
– مجلة الوحدة العربية، يوليو (1974)، العدد40، السنة الرابعة.
– مدلل، أحمد عطية، (1989)، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها أغسطس 1914، دراسة تاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
– مدلل، أحمد عطية، (1993)، القرضابية 1915، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- Mario Bilardinelli. Laghibla. Tip de rcr Tripolitania.1935